

العلامة

الحلي

نايضة

مطهره فلي

المنقول

والمعقول

هادي العاملي - لبنان

إن مدرسة أهل البيت (ع) شجرة نبتت جذورها في دار النبوة، وتفرعت أغصانها باسقات من بيوت أئمة أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فرواؤها سلسبيل النبوة والإمامة، وثمرها خير الدارين فمن الله سبحانه على من تآقت نفسه إلي أطياب الثمر، فاقتطف من تلك الشجرة ما استطاع حسب استعداده، فتشعشع نوراً يبدد ظلام الجهل، فمن هؤلاء الشيخ الصدوق (رحمه الله)، الذي صنّف الكثير من كتب الفقه والحديث، ثم توسّعت الحركة الفكرية بما يلائم حركة الإنسان وحاجته على يد الشيخ المفيد (رحمه الله) الذي كان مدرسة حقّة من مدارس التشريع الإسلامي في القرن الرابع الهجري، والذي ترك أثره في العلوم الإسلامية حتى وقتنا الحاضر.

امتد الزمن ليجلب معه أفاق التطور في البحث والتحقيق والتدوين في مختلف العلوم، فكان لعلماء الإسلام النصيب الأكبر والسهم الأوفر من ذلك، حتى وصل الأمر إلي العلامة الحلي، الذي كان أنموذجاً فريداً في العلم، فهو الذي أعاد إسراج أقباس الفقه، وأثار مشكاة العلم، ونال الاجتهاد في سن مبكر من عمره، فضلاً عن أنه أول من أخذ بأقسام الحديث: من مرسل وضعيف، وقوي، وموثق. وقد كان علماً لامعاً في مختلف العلوم، فقد كتب في الفقه، والمنطق، والفلسفة، والحديث، والرجال، وغيرها من العلوم، حتى لقب بـ «العلامة» على الإطلاق. الأمر الذي أكد طول باعه في مواكبة تطور الحياة وحل المشاكل المستجدة من أمور الدين والدنيا.

مولده ونشأته

هو الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي، أجمعت أغلب المصادر على ولادته في شهر رمضان المبارك سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، وقد نشأ شيخنا المترجم له في بيت عرف بالعلم والتقوى في أحضان والده، وبرعاية خاله المحقق الحلي صاحب كتاب "شرائع الإسلام"، فدرس عليهما وعلى غيرهما من العلماء الجهابذة الذين كانوا أعلام عصرهم، فنشأ نشأة كريمة، وترعرع في كنفهم ولاقى رعاية خاصة، ما جعله يفوق أقرانه، ويبرز في سن مبكر، ولا أريد التعرض لتحديد السن الذي بلغ فيه مرتبة الاجتهاد.

أسرته من الأسر العربية العريقة، فمن قيل أبيه آل المطهر ويرجعون إلى بني أسد، ومن قيل أمه بني سعيد، ويرجعون إلى هذيل.

فأبوه: سديد الدين يوسف بن علي بن مطهر الحلي من العلماء الأعظم.
وأمه: بنت العالم الفقيه الشيخ حسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلي، وهي أخت المحقق الحلي.

وجده لأبيه: زين الدين علي بن المطهر الحلي.
وخاله: نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي – المحقق الحلي – صاحب "الشرائع"، كان أفضل أهل عصره في الفقه، وكان له الحظ الأوفر في تربيته وتعليمه.

فاستمر هذا العطاء الزاخر حتى سار على خطاه ولده البار محمد بن الحسن بن يوسف الملقب بفخر المحققين ليحافظ على تراث آبائه وأجداده، وكان فاضلاً فقيهاً ثقة جليلاً، يروي عن أبيه، وله كتاب "إيضاح الفوائد" شرح فيه كتاب "القواعد" لوالده.

انتقاله إلى إيران ومساهمته في تشييعها لأهل البيت (ع)

عرضت مشكلة لملك إيران وهو السلطان الجايتو محمد المغولي الملقب بشاه (خداينده)، فقد غضب على إحدى زوجاته، فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، ثم ندم، فسأل العلماء فقالوا: لا بد من المحلل.

فقال: لكم في كل مسألة أقوال، فهل يوجد هنا اختلاف؟ فقالوا: لا.
فقال أحد وزرائه: في الحلة عالم يفتي ببطان هذا الطلاق.
فقال العلماء إن مذهبه باطل، ولا عقل له، ولا لأصحابه، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى مثله.

فقال الملك: أمهلوا حتى يحضر ونرى كلامه، فلما دخل على الملك أخذ نعله بيده ودخل وسلم، وجلس إلى جانب الملك.

فقالوا للملك: ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول؟
فقال: أسألوه عن كل ما فعل؟
فقالوا: لماذا لم تخضع للملك بهيئة الركوع؟!

فقال: لأن رسول الله (ص) لم يكن يركع له أحد وكان يُسلم عليه، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ﴾ ولا يجوز الركوع والسجود لغير الله.

قالوا: فلم جلست بجانب الملك؟
قال: لأنه لم يكن مكان خال غيره.

قالوا: فلم أخذت نعليك بيدك، وهو مناف للأدب؟
قال: خفت أن يسرقه بعض أصحاب المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله (ص) (*).
فقالوا: إن أهل المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله (ص)، بل ولدوا بعد المائة فما فوق من وفاته (ص).

(*) لم يعن العلامة الحلي بقوله هذا أن هناك سرقة قد حدثت فعلاً، وإنما قصد أن يحدث إشارة تمثيلية رمزية ليثبت للملك أن أصحاب المذاهب لم يكونوا في زمن رسول الله (ص).

كل هذا والترجمان يترجم للملك كل ما يقوله العلامة.
فقال للملك: قد سمعت اعترافهم هذا فمن أين حصروا الاجتهاد فيهم، ولم يجوزوا
الأخذ من غيرهم، ولو فرض أنهم أعلم؟!
فقال الملك: ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب في زمن النبي (ص) ولا الصحابة؟
قالوا: لا.
قال العلامة: ونحن نأخذ مذهبنا عن علي بن أبي طالب نفس رسول الله (ص) وأخيه
وابن عمه ووصيه، عن أولاده من بعده.
فسأله عن الطلاق: فقال: باطل لعدم وجود الشهود العدول. وجرى البحث بينه وبين
العلماء حتى ألزمهم جميعاً.

فتشيع الملك، وراح يرسخ قواعد التشيع في إيران بجهود العلامة، فهياً للعلامة كل ما
يحتاجه كي يبقى في إيران للوعظ والإرشاد، حتى أنه أسس له مدرسة سيارة.
فبقي علامتنا المترجم له على هذا الحال إلى أن توفي الشاه خداينده سنة ١٦٧٦هـ—،
فعندها قفل راجعاً إلى موطنه الحلة السيفية، حيث مركز العلم والعلماء، مشتغلاً بالتدريس
والتأليف وتربية العلماء وتقوية المذهب، فشددت إليه الرّحال من كل حدب وصوب، وبقي
فيها ولم يخرج منها إلا لحج بيت الله الحرام، إلى أن غابت شمس العلم وغارت نجوم
الفضل، فصدعت بوفاته العلماء، وتلم الإسلام.

من أقوال العلماء فيه

قال معاصره ابن داود في رجاله: "...شيخ الطائفة علامة وقته صاحب التحقيق
والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول"^(١).
وقال الحر العاملي في "أمل الأمل": "...فاضل عالم علامة العلماء، محقق، مدقق،
فقيه، محدث، متكلم، ماهر، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، لا نظير له في الفنون
والعلوم والعقليات والنقليات، وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تحصى"^(٢).
وقال الأفندي في "رياض العلماء": "...الإمام الهمام العالم العامل، الفاضل، الكامل،
الشاعر الماهر، علامة العلماء، وفهامة الفضلاء... وله حقوق عظيمة على زمرة الإمامية
والطائفة المحقة الاثني عشرية، لساناً وبياناً وتديساً وتأليفاً"^(٣).

وقال ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان": "عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، وكان
آية في الذكاء، شرح مختصر ابن الحاجب شرحاً جيداً، سهل المأخذ غاية في الإيضاح،
وهو الذي رد عليه الشيخ ابن تيمية في كتابه المعروف بـ "الرد على الرافضي"، وكان
ابن المطهر مشتهر الذكر حسن الأخلاق، ولما بلغه بعض كتاب ابن تيمية قال: "لو كان
يفهم ما أقول أجبتة"^(٤).

وقال معاصره الصفدي: "...الإمام العلامة ذو الفنون... عالم الشيعة وفقههم،
صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته... وكان يصنف وهو راكب... وكان ابن
المطهر ريبض الأخلاق مشتهر الذكر، تخرج به أقوام كثيرة... وكان إماماً في الكلام
والمعقولات"^(٥).

مؤلفاته

عدّ العلامة الحلي سبعة وخمسين منها في كتابه "خلاصة الأقوال" وهناك بعض كتب الخلاصة فيها أكثر من هذا العدد، ومنه يظهر أنه حينما دوّنّها لم تكن تكتمل كلها، ولذا فإن البعض عدد أكثر من هذا، حتى أن السيد الأمين في "الأعيان" أحصاها في مختلف العلوم إلى ما يزيد عن المائة مصنف. ونحن بدورنا نتعرض لأبرز مصنفاته في كلّ العلوم لنظهر للقارئ الكريم، عظمة هذه الشخصية، ونُحيله في البقية على الكتب المفصلة فنقول:

كتب الفقه نذكر منها:

1. "منتهى المطلب في تحقيق المذهب"، وقد ذكر فيه آراء جميع المسلمين، ورجّح ما يعتقده.
2. "مختلف الشيعة في أحكام الشريعة"، وقد ذكر فيه خلاف علمائنا خاصة وحجة كلّ شخص وترجيح ما اختاره.
3. "تذكرة الفقهاء" والظاهر أنه أكبر كتاب مؤلف في مجال الفقه الاستدلالي.
4. "تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية".
5. "قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام".
6. "إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان".
7. "تهذيب النفس في معرفة المذاهب الخمس".
8. تبصرة المتعلمين.

كتب أصول الفقه منها:

1. "مبادئ الوصول إلى علم الأصول".
 2. "منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول".
- ### كتب علم الكلام وأصول الدين والاحتجاج والجدل

1. "نظم البراهين في أصول الدين".
2. "مناهج اليقين أو منهاج اليقين في أصول الدين".
3. "كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد".
4. "منهاج الكرامة في إثبات الإمامة".
5. "الباب الحادي عشر في أصول الدين".
6. "استقصاء النظر في القضاء والقدر".

كتب المعقول، منها:

1. "الدر المكنون في علم القانون في المنطق".
2. "إيضاح التلبيس من كلام الرئيس في الخلاصة".
3. "النور المشرق في علم المنطق".

كتب الحديث نذكر منها:

1. "الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان".

٢. "النهج الواضح في الأحاديث الصحاح".

كتب الرجال، منها:

١. "خلاصة الأقوال في معرفة الرجال".

٢. "إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة".

وغيرها من عشرات الكتب من الفنون المختلفة كالأدعية والنحو والفضائل وأجوبة المسائل المختلفة.

مشايخه في القراءة والرواية

نذكر منهم:

١. والده الشيخ سديد يوسف بن علي بن مطهر.

٢. خاله الشيخ جعفر بن الحسن بن يحيى المعروف بالمحقق الحلي صاحب "شرائع الإسلام".

٣. الخواجة نصير الدين الطوسي، الذي درس عليه العقليات والرياضيات.

٤. الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلي صاحب "جامع الإسلام".

٥. الشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة.

تلامذته والراوون عنه:

قرأ عليه جمع غفير من العلماء والأعلام والفضلاء الكرام منهم:

١. ولده فخر الإسلام محمد بن الحسن بن يوسف صاحب "إيضاح الفوائد".

٢. السيد النسابة تاج الدين محمد بن القاسم بن معية الحلي.

٣. الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن أحمد المرندي.

٤. الشيخ قطب الدين محمد بن محمد الرازي البويهري.

وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

وفاته ومدفنه

اتفق المؤرخون على أن وفاته كانت في ليلة السبت أو يومه من شهر محرّم الحرام، سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، فكانت وفاته في الحلة، وحُمل نعشه على الرؤوس إلى النجف الأشرف، ودفن في مثواه الأخير في جوار مولى الموحدين أمير المؤمنين (ع) في حجرة إيوان الذهب الواقعة على يمين الداخل إلى الحضرة الشريفة من جهة الشمال.

الهوامش

(١) رجال ابن داود: ٨٧.

(٢) أمل الأمل: ٨١.

(٣) رياض العلماء، ١: ٣٥٨.

(٤) لسان الميزان: ٢: ٣١٧.

(٥) الوافي بالوفيات.